

الحراك السكني بالمدينة الجزائرية - مقارنة أنثروبولوجية بمدينة بسكرة

Residential mobility in Algerian cities
An anthropological approach in the city of Biskra



الجيلالي تواتي *

جامعة محمد خيضر بسكرة

djillali.touati@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/01 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/16



ملخص:

يطرح النمو المتسارع للمدينة الجزائرية مع مطلع الألفية إشكالية ثنائية السكون (الاستقرار) / الحراك لشاغلي الفضاء الحضري السكني، حيث لم تستطيع المدينة استيعاب التدفقات المتعاقبة على المدن و ما يرافق ذلك من حاجات يجب إشباعها من قبل السلطات المحلية كالسكن و جميع المرافق الضرورية للعيش، وهو ما جعل المدينة الجزائرية تعيش حراكا سكونيا مستمرا يزداد يوما بعد يوم بسبب ما يقتضيه المعيش اليومي فيها، لكن دراسة ديناميكية المجتمع في المدينة تتطلب إختزال هذا الحراك في موضوع الحراك السكني (الرحلة) للأسر. تأتي هذه الورقة البحثية لتسليط الضوء حول أنثروبولوجيا الحراك السكني في المدن الجزائرية و أثره على الفرد و المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الحراك السكني؛ التنقل؛ التنشئة الاجتماعية؛ الفضاء الحضري؛ الهوية.

Abstract:

The rapid growth of the Algerian city at the beginning of the millennium raises the issue of the dichotomy of stillness (stability) / mobility for the occupants of the urban residential space, as the city has not been able to absorb the successive flows to the cities and the accompanying needs that must be satisfied by the local authorities, such as housing and all necessary facilities for living, which made the Algerian city live a continuous

* المؤلف المراسل

residential movement that increases day by day due to the requirements of daily living in the city, but studying the dynamics of society in the city requires reducing this movement to residential movement (journey) of families.

This paper aims to shed light on the anthropology of residential mobility in Algerian cities and its impact on the individual and society

key words: residential mobility; mobility; socialization; urban space; identity.

مقدمة:

يعتبر الحراك السكاني (الرحلة) من أهم الظواهر الحضرية التي تبرز التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها المدن الجزائرية، فهو يعبر عن عمليات التنقل والاستقرار السكاني متأثرا بعدة عوامل تتمثل في النمو الديمغرافي التخطيط العمراني والسكاني، الثقافة، الاقتصاد، تعتبر مدينة بسكرة نموذجا مهما لهذه الدراسة نظرا لموقعها الجغرافي كنقطة عبور بين الشمال والجنوب خاصة الجهة الشرقية وكذا التحولات العمرانية وخصائصها السوسيواقتصادية التي تعيشها اليوم.

تحاول هذه الدراسة فهم كيف يعكس الحراك السكاني في بسكرة طبيعة التحولات التي تعرفها المدن وذلك من خلال دراسة أنثروبولوجية تربط بين أنماط السكن، الهجرة الداخلية، العوامل الاقتصادية، الثقافة و تأثيرها على توزيع السكان داخل المدينة.

الإشكالية:

تطرح هذه الورقة البحثية التساؤل الرئيسي: كيف يعكس الحراك السكاني في مدينة بسكرة التغيرات الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية التي تعيشها المدينة الجزائرية بسطل عام؟ و ينبثق عن هذا التساؤل أسئلة فرعية يمكن أن نعرضها كما يأتي:

- ما هي العوامل الرئيسية التي تدفع السكان إلى تغيير مساكنهم داخل مدينة بسكرة؟
- ما هي تأثيرات التوسع العمراني على توزيع السكان وأنماط السكن؟

- ما هي الدلالات الثقافية لدى الساكن البسكري حيال التنقل داخل المحيط الحضري للمدينة؟

- هل يمكن إسقاط نموذج الحراك السكاني بمدينة بسكرة على باقي المدن الأخرى بالجزائر؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تساعد على فهم التصورات و الدلالات الثقافية التي تتحكم في الديناميكية التي تعيشها المدينة الجزائرية بشكل عام، و بسكرة كنموذج يمكن تعميمه على باقي المدن و يمكن لهذه الدراسة أن تساعد السلطات العمومية العاملة في مجال التخطيط و الإسكان على أخذ بعين الاعتبار تصورات المستفيدين من مختلف الصيغ السكنية مستقبلا و إشباع إنشغالاتهم وفقا لتصوراتهم الذهنية أو وفقا للطرح الأنثروبولوجي وفقا لثقافتهم ، و منه الوصول إلى جودة العيش في المدينة المتوخاة.

المبحث الأول: مفاهيم الدراسة

تمهيد حول المبحث الأول والمسائل التي سوف تعالج فيه، تمهيد حول المبحث الأول والمسائل التي سوف تعالج فيه.

المطلب الأول: مفهوم الحراك السكاني

الحراك السكاني residential mobility مفهوم مركب يتألف من جذرين الحراك و السكن. الحراك : يبدو أن الكلمة في مدلولها اللغوي تدل على الحركة و التحرك عكس السكون هذا من المفهوم اللغوي البسيط، هنا يجب أن نفرق بين الحراك كمفهوم أنثروبولوجي واسع و فعل التنقل deménagement الذي يعني طقوس الانتقال من مسكن إلى آخر بما يحمله من تفاصيل تحويل التأثير إلى البيت الجديد.

السكن: يقصد به البيت في المفهوم العام غير أنه يحمل مفهوما معقدا و متعدد الأبعاد في الأنثروبولوجيا فالمسكن وفقا لبعده المادي هو ذلك الفضاء المكاني (جدران و سقف) التي تمارس فيه الأسرة جميع نشاطاتها وتفاعلاتها كونها تمثل تظاهرات الثقافة و

الهوية، ويعتبر جزءا مهما من الفضاء الحضري إذ يمثل الفضاء الخاص الذي يتماسك ضمن ثنائية الفضاء الداخلي/ الفضاء الخارجي و أبعادها الثقافية و الرمزية و الاجتماعية و الإقتصادية التي تمثلها تصورات المجتمع وقد حاول عطية قصي التعمق في المفهوم أكثر في أطروحته¹، كما تحضرنا كلمتي house و home التي تمثلان المعنى المادي و المعنوي في اللغة الإنجليزية.

أما المفهوم الإصطلاحي: فالمفهوم له دلالات ذات أبعاد متعددة تتصل بالدراسات الاجتماعية و الإنسانية بشكل عام ، فيقابل الكلمة ب المصطلح باللغة الفرنسية *mobilité* وكذلك باللغة الإنجليزية *mobility*.

يقصد به إنتقال الفرد من مكان إلى آخر لسبب أو لآخر، هو الوضع الذي يشير إلى إمكانية تحرك الأشخاص أو الجماعات إلى أسفل أو إلى أعلى الطبقة أو المكانة الاجتماعية، في هرم التدرج الاجتماعي. يرى باحثون آخرون أن مصطلح «حراك» يُستخدم، أيضاً، ليدل على الحركة المكانية أو الهجرة السكانية، وهذا ما يسمى «الحراك الفيزيقي»، إنه من الطبيعي أن ينتقل البشر من مدينة إلى أخرى و من حي إلى آخر ومن سكن إلى آخر، و تختلف أسباب الإنتقال من فرد لآخر و من أسرة لأخرى، كما يمكن أن ينتقل سكان المدن من بلدة إلى أخرى أو من حي إلى آخر.

وقد ينتقلون أيضاً من منزل إلى آخر داخل نفس التجمع السكاني، ومن الشائع أيضاً رؤية أشخاص ينتقلون من وإلى نفس البلدية (المدينة)، أحياناً ينتقل الناس داخل نفس المنطقة (أي من منزل إلى آخر) أو على بُعد عدة كيلومترات من مسكنهم السابق، تُعد عملية الانتقال إلى منزل/ تجمع سكاني أو حي سكاني جديد جزءاً لا يتجزأ من عملية التحضر، والتي تشمل أيضاً التنمية الحضرية، والأهم من ذلك، التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يمر بها الفرد أو الأسرة، عادةً ما يفكر الأفراد الراغبون في الانتقال في الرغبة في الانتقال، ويتصورونها كخطوة أولى في عملية التنقل السكاني².

فقد شهدت المدن في البلدان المتقدمة تحضرًا مقترنًا بالنمو الاقتصادي، فقد شهدت العديد من المدن الأفريقية تحضرًا لا يتوازى مع النمو الاقتصادي، وقد أدى هذا الوضع إلى تحديات حضرية حالية مثل توفير المأوى وتوفير الخدمات العامة بالإضافة إلى تحديات إدارة الأراضي، تشير دراسة أجراها روسي حول سبب انتقال العائلات إلى أن التنقل هو العملية التي تكيف بها العائلات مساكنها مع احتياجات الإسكان الناتجة عن التحولات في تكوين الأسرة التي تصاحب تغييرات دورة الحياة، وجادل بأن التنقل السكاني مرتبط بعوامل مرحلة الحياة، والتي تتعلق بخصائص الأسرة وخصائص الإسكان وسوق الإسكان والوصول إلى وسائل الراحة، يؤدي مفهوم تغييرات دورة الحياة بين العائلات إلى تغييرات في احتياجات الإسكان مما يؤثر بدوره على تنقل الأشخاص في المدينة.

تُكيّف الأسر استهلاكها السكاني بما يتناسب مع احتياجاتها المتغيرة مع تقدمها في دورة حياتها، وقد مثّلت هذه الفكرة خطوةً مهمةً في طرح مفهوم العجز السكاني الذي طرحه موريس ووينتر، ويقترح هذا المفهوم أن العجز السكاني المعياري هو حالة تُحفّز سلوك التكيف لدى الأفراد، ويُعدّ التنقل السكاني من بين سلوكيات التكيف التي يسعى الأفراد من خلالها إلى تحقيق تطلعاتهم.

بالمقابل يرى آخرون بأنه التنقل والهجرة مصطلحان متشابهان، ولكن يمكن التمييز بينهما. تشير الهجرة إلى عمليات الانتقال التي تشمل انتقال الأفراد من أصل جغرافي إلى وجهة محددة، بينما يشير التنقل إلى قدرة الفرد على تغيير مكان إقامته خلال فترة زمنية محددة، قد يشير التنقل السكاني أحيانًا إلى العدد الفعلي للمنتقلين خلال فترة زمنية محددة، بغض النظر عن حجمهم. كما يُستخدم أيضًا لتمثيل نسبة الأسر في منطقة جغرافية معينة التي تُغير مكان إقامتها خلال فترة زمنية محددة³.

مكن التمييز بين طبيعة وحجم التنقلات، غالبًا ما يُنظر إلى التنقل السكاني على أنه انتقال للأسرة داخل المنطقة الجغرافية نفسها، مثلاً داخل المدينة، بينما تشير الهجرة إلى

انتقال سكاني عبر المناطق الجغرافية، مثلاً بين الدول أو الولايات، كما يُوصف التنقل السكاني بأنه حركة الأسرة صعوداً وهبوطاً تبعاً لمقياس الوضع الاجتماعي والاقتصادي.

كما ناقش كلارك وأوناكا أنواع التنقل السكاني وصنفوها على النحو التالي:

الفرع الأول: التنقل الصاعد: الذي يشير إلى الحركة لتحسين الذات. ويرتبط بالتفاؤل والتحكم ويحدث بسبب أشياء مثل فرصة العمل والرغبة في منطقة أكثر أمناً.

الفرع الثاني: التنقل الطوعي: يحدث هذا في سياق تفضيل أو اختيار الأسرة الفردية والتكلفة والحياة والمساحة. يؤدي التغيير في نوع المنزل وكمية استهلاك المساكن من حيث الحي وإمكانية الوصول إلى التنقل.

الفرع الثالث: التنقل القسري: وهذا ضروري بسبب أحداث مثل عمليات الإخلاء الحكومية والإفلاس والكوارث الطبيعية مثل الفيضانات وعوامل أخرى لتغير المناخ، مثل عمليات الترحيل التي قامت بها السلطات الجزائرية بمختلف المدن على مستوى الحياء الفوضوية و الهشة التي شيدت خلال التسعينات أو تلك الآيلة للسقوط و التي أصبحت غير قابلة للسكن.

الفرع الرابع: التنقل في نمط الحياة: يشير إلى نمط من الحركة يرتبط بالرغبة في تغيير مسكن موجود أو تجربة حي مختلف. يحدد فوت وآخرون أنواعاً أخرى من التنقل وهي التنقل داخل المجتمع والتنقل بين المجتمعات. حيث إن الانتقال داخل المجتمع المحلي مدفوع بشكل رئيسي بالسكن، ويغلب عليه عدم الرضا عن السكن، أما التنقل بين المجتمعات المحلية، فهو مدفوع بشكل رئيسي بالوظائف، ويغلب عليه جاذبية الموقع الجديد من حيث الفرص الاقتصادية والمناخ الأكثر صحة⁴.

الفرع الخامس: التنقل وتغير المناخ: على الرغم من أن هذه الورقة البحثية لم تتناول مسألة تغير المناخ بالتفصيل، إلا أنه يكفي الإشارة إلى أن المؤلفين يُقرون بأن التنقل الحضري يتأثر أيضاً بتغير المناخ، فعندما يؤثر تغير المناخ سلباً على سبل عيش المجتمعات، فإن المجتمعات المتضررة بدورها تستخدم استراتيجيات تكيف قد تشمل الهجرة أو التنقل، يواجه العديد من

الفقراء في الأوساط الحضرية العديد من التحديات البيئية والتنمية التي تؤثر على صحتهم وإنتاجيتهم، وبالتالي على اختيارهم للمساكن التي يمكنهم الوصول إليها وفي الوقت نفسه، يتمتع فقراء الحضر بقدرة محدودة على التكيف مع المخاطر البيئية، بما في ذلك تقلب المناخ وتغيره، وبالتالي فهم عرضة لآثار العواصف، والقيود على إمدادات المياه، وارتفاع أسعار الغذاء وهذا يميل إلى تفاقم قدرتهم على التنقل، مما يزيد بدوره من الضغط على السكن الحضري.

المبحث الثاني: المدخل الأنثروبولوجي للحراك السكاني بمدينة بسكرة

المطلب الأول: منهجية البحث

أوضحت الأنثروبولوجيا اليوم من الحقول البحثية التي تستقطب الباحثين و المهتمين بالدراسات الحضرية خاصة، وهذا لأنها تستنير دروب البحث المستعصية على الاختصاصات الاجتماعية مثل الترابط وتحولات الروابط الاجتماعية في الوسط الحضري، مع ذلك ممكن أن نعثر في الأنثروبولوجيا على إهتمامات مشابهة مثل ”الاتصال الثقافي“، و”التواصل بين الثقافات“، و”التفاعل العرق

⁵، لذلك نجد أن الدراسات الأنثروبولوجية في الوسط الحضري هي الأكثر رواجاً مقارنة بباقي الدراسات الاجتماعية الأخرى وهذا كون القراء يرون في الأنثروبولوجيا الأكثر عمقا و تفسيراً للظواهر الاجتماعية في الوسط الحضري بسبب جدوى أدواتها البحثية ومدى مطابقتها للنظريات الأكثر مرونة وهو ما جعلها مستنيرة في تفسير المعاني و الدلالات لاسيما في الموضوعات التي تلامس توليفاً ثنائية فرد مجتمع في الفضاءات الحضرية.

المطلب الثاني: الأدوات المنهجية للبحث

تعتمد الدراسة على المنهج الإثنوغرافي و هذا من خلال الدراسة الحقلية التي تدرس الناس في مجموعة واسعة من الإعدادات، خاصة وأن المدينة لها خصوصياتها و يجب على الباحث اتخاذ جملة من الاستراتيجيات التي تتناسب و أهدافه البحثية⁶، عرض موجز لمجالي التحقيق الرئيسيين لدينا ونوع المشاركة ونوع المشاركة التي قمنا بتطوير كل منهما يقودنا إلى طرح

سؤالين رئيسيين يثيران سؤالين رئيسيين حول موقف عالم الإثنوغرافيا⁷، الإثنوغرافي. فمن ناحية، إن الاهتمام الذي أوليناه لبعض الظواهر الاجتماعية الاجتماعية دون غيرها من الظواهر الاجتماعية، والتي كانت مع ذلك تحدث غير مرئية (أو غير مثيرة للاهتمام، أو غير مشروعة)، هو مؤشر على من ناحية أخرى، كانت هذه الآثار "كلية" بالضرورة، بمعنى أن جميع تصرفاتنا الشخصية هي المعنية، وقد ركز مجمل علماء الأنثروبولوجيا الحضرية على الإستعانة -على الأغلب- بالأدوات التالية:

الفرع الأول: الملاحظة المباشرة: تعد التواجد الفيزيقي والحضور الذهني للباحث الأنثروبولوجي في الحقل بمثابة حجر الزاوية بالنسبة للعمل الحقل، فهناك مثل متداول يمكن أن نستخدمه في هذا السياق يردده أغلب الجزائريين "كي تشوف العين تترك السؤال" (الجزائر) وهو ما يعزز أهمية الملاحظة المباشرة في التدقيق و التحقيق من أجل الصدق والمصادقية في العمل، وقد حاولنا توثيق هذه الملاحظة في بعض الأحيان بمواقف طريفة تسمح للقاريء بالإقتراب و تلمس العمل أكثر، مع مراعاة تحليلها أنثروبولوجيا.

الفرع الثاني: المقابلات الحرة: إن طبيعة هذا البحث تقوم على ضرورة الإحاطة بعدة محددات و متغيرات لا يمكن فهمها إلى من خلال إجراء مقابلات مع الأسر وأولياء التلاميذ و كذا بعض ممثلي السلطات المعنية مثل تمثيلات وزارة السكن و التربية على المستوى المحلي وهذا من أجل الوصول إلى فهم أثر الحراك السكاني على الفرد الساكن في الفضاء الحضري لمدينة بسكرة، وقد قمنا بإختيار عينة مكونة من إحدى عشر (11) أسرة من الفئة التي يمكن أن تساعد أهداف الدراسة.

خلال البحث الميداني كان إختيار العينة وفقا لمتطلبات البحث الذي يتناسق و طبيعة الموضوع، مع المحددات التي تفيد البحث وفقا للجدول الآتي:

عدد الأسر	الحالة العائلية	نشاط رب الأسرة (الزوجين)	عدد الأطفال المتدربين	عدد الأطفال أكبر من 18 سنة	عدد التنقلات	أهم الأحياء محل الترحال
11	أسرة نواة و/أو بجمعية أحد الأباء	09 أجراء	08 لديهم	02	03 مرة واحدة	باب
					03 أكثر من 04	الضرب، المصلى، الشناوة)
		02 نشاط حر	03	بدون أولاد	05 مرتين	القطب الحضري الجديد)، حي المجاهدين، العالية

الفرع الثالث: تحليل الوثائق الرسمية:

يمكن للأنثروبولوجي أيضا أن يعتمد على الوثائق الرسمية التي تتضمن معلومات ذات قيمة و أكثر صدقا كالأرقام الإحصائية و البيانية التي تزيد في تعزيز البحث العلمي، و في بحثنا هذا يمكننا الإستعانة ببعض الأرقام التي تبين التغير في المدينة على المستوى الفيزيقي و/أو الاجتماعي مثل الزيادة السكانية خلال فترة معينة، حيث نجد أن مدينة بسكرة تزايد عددها في فترة ليس طويلة بسبب توافر قوى الجذب حيث وصل عدد سكانها إلى 199.667 نسمة⁸ حسب آخر إحصاء لسنة 2008، بينما نجده يتجاوز حسب التقديرات الأخيرة سقف المائتي ألف و عشرين حسب بعض المصادر، لكن بحثنا هذا لا

يلزم كثيرا الأرقام الإحصائية كوننا نركز على الثقافة و مسائل الاندماج و سياقت الحضور و الغياب للفرد البشري في الفضاء الحضري .

المبحث الثالث: التحليل

المطلب الأول:العوامل الاقتصادية المتحركة في الحراك السكاني.

يعتبر الاقتصاد الأسري بمثابة العامل الأساسي الذي يتجلى في المستوى المعيشي الذي تعيشه كل أسرة، ومدى قدرتها على الاستقرار في حي دون الآخر وهو ما يوضحه المبحوث (ع،ط)⁹ الذي يسرد عدم قدرته على الإيجار في بعض الأحياء المعروفة بكونها نوعا ما باهضة الأثمان مثل حي السعادة 01 و 02 بالكورس وكذا حي المجاهدين كون ثمن الإيجار مرتفع مقارنة بباقي الأحياء، ليهتدي في الأخير إلى تأجير شقة بأحد أحياء العالية، وقام بالتنقل مرة ثانية إلى حي اللوطة باب الضرب بسبب تفضيله للسكن الأفقي على العمودي، وهذا ما يدل على أن القدرة الشرائية لها دور في الخيارات لدى الساكن فهو يحاول التوفيق بين قدرته الشرائية و متطلباته التي هي الأخرى تخضع لإعتبارات نفسية و إجتماعية.

كما يضيف (غ،ب)¹⁰ أنه لم يقيم بالتنقل لمسكنه الذي استفاد منه بالجهة الشرقية بالشناوة بسكرة منذ ما يقارب الستة أشهر بسبب عمل زوجته وأطفاله المتدربين وكذا عمله البعيد فلم يستطيع تذليل ظروفه حيث أن السكن الجديد بعيدا نوعا ما عن عمله، مما اضطرته إلى البقاء في الحي الذي يقيم به بالرغم من المساحة الصغيرة التي تميزه "صح الضيق بصح قريبة لخدمة المراهق رايح ندير.... ما نقدرش نرحل بعيدة بزاف الشناوة و الطرانسبور يطول ما يوالينش"، وهو حال الزوجان الذي يعملان إذ أنهما يحاولان دائما التكيف مع وضعهما باتخاذ استراتيجيات تناسب و عملهما و أطفالهما من أجل الرعاية و التمدرس و الرياضة و تدريس القرآن و هكذا.

لذلك نجد أن سعر الكراء لأي منزل يتناسب جغرافيا مع المرافق و الخدمات مثل البعد و القرب عن المؤسسات التربوية، المسجد، التسوق ، قاعة الرياضة....، دون إغفال سمعة الحي التي تكون في الطليعة عند إختيار المسكن، غير أن قدرة الأسرة على تغطية الكراء هي

التي تجعله يسارع إلى الاختيار كما يضيف رب عائلة¹¹ "دراهمك هومات اللي يخيرولك الدار... البلاسة المليحة غالية... أنا وين اداوين درايمي نراواح".

يرى بعض الملاحظين بأن أغلب من يتنقلون بين الأحياء في سياق الحراك السكني يرتبط ذلك بالحراك المهني، ويمثل فئة الأجراء جزء كبير منهم بسبب ارتباط إلزاماتهم المهنية بضرورة توافق مقر سكنهم بمقر عملهم، و تمتد هذه الدوافع إلى أسباب أخرى متعلقة بطبيعة الروابط بين الأسرة و عائلة الزوج في الغلب و هو ما يضعنا في مسار تحول الأسرة الجزائرية بصفة عامة من ممتدة إلى نووية(نواة)

تقوم السلطات العمومية بمجهودات كبيرة من أجل القضاء على أزمة السكن التي تولدت بفعل النزوحات الريفية المتعاقبة قبل و مع مطلع الألفية، عن طريق عدة صيغ بداية من الإعانات المالية و القطع وصولا إلى الصيغ السكنية الأخرى كعدل و السكنات الإيجارية الإجتماعية وصولا إلى باقي السكنات كالترقوي و غيره، وهو ما سمح للكثير من الأسر بالاستفادة من سكنات في إحدى هذه الصيغ، غير أن شغلهم لهذه السكنات طرح معهم في بعض الأحيان مشاكل التكيف مع الأحياء الجديدة و إعادة إنتاج يوميات جديدة مغايرة عن التي ألفوها، وهو ما لمسناه عند (ف،ب)¹² موظف ويعمل بوسط المدينة بأن حي الشناوة بعيد نوعا ما عن مقر عمله وهو ما جعله يدخل فقط للمبيت ويقضي باقي ساعات اليوم بالحي الذي كان يقطن فيه سابقا.

المطلب الثاني: الروابط الاجتماعية ودورها في التأثير على إختيار السكن.

يمثل رابط الحوار من الروابط الاجتماعية التي تساعد الفرد على الاندماج في الثقافة التي يعيش فيها، و يتجاوز رابط القرابة جنبا إلى جنب معه في المجتمع الجزائري بصفة عامة و في بسكرة يتجلى ذلك لدى بعض الأحياء، إذ تحاول الأسر أن تبقى قريبة من أقاربها و هذا بالتجاوز مع بعضهم البعض من أجل توفير حماية ولو في نفس الحي و/أو العمارة التي استفادوا منها، وهو ما نجده بشكل كبير في الأحياء التي تشكلت خلال التسعينات مثل التجمعات السكانية المعروفة محليا نسبة إلى العروش مثل أولاد نايل و النمامشة اللذان

يشغلون ما يعرف بطابق الكلب (تسمى هكذا على المستوى المحلي) في العالية بمدينة بسكرة.

هناك مثل يتداوله أغلب الجزائريين و هو القائل "خير الجار قبل الدار" (متداول) لذلك تجد أن المعاشرة التي تتشكل بين الجيران خاصة الذين يتجاوزون لمدة زمنية طويلة يآلفون بعضهم البعض، و بمجرد أن تفتح معهم موضوع الجيران يبادر بالحديث عن أخلاق و قيم جيرانه السابقين، وهنا يقودنا الحديث إلى دراسة عايدة جغار¹³ التي قامت بدراسة ميدانية بحج الدقسي بقسنطينة التي استنتجت بأن ليست دوافع الحراك كلها موضوعية بل هناك غير موضوعية متعلقة كآلفة نمط العيش و مستوى معيشي معين.

المطلب الثالث: التنشئة الاجتماعية الثانوية و أثرها على بناء الهوية.

يمثل الحي بمثابة وحدة مجتمع في المدينة حيث اتخذ الأنثروبولوجيون خاصة الأوائل كمنطلق مجالي في توسيع دائرة أبحاثهم و من ثم التركيز في التعمق في الدراسات الحقلية للحي، فقد إعتبروا الحي بمثابة وحدة أساسية مشكلة مجموعها المدينة، و يمثلون اللاتجانس الذي تمثله البنيات الحضرية، لذلك يمثل العيش بمدينة بسكرة مثالا حيا لمدينة في طور التحول و التغير، فالأحياء في تزايد و هناك أقطاب حضرية جدية في طور التشكل، وهو ما يجعل التنقل من حي إلى آخر ذو أبعاد محسوسة، فهو يؤثر في نمط العيش و يوميات الوافد الجديد، فهاهي مبحوثة أخرى¹⁴ تفصل بعض الشيء في بعض الصعوبات التي واجهت ابنها عند تغييرهم للمسكن من حي العالية إلى حي الكورس بالمنطقة الغربية بسكرة، حيث تصف ولدها أمين بأنه وجد صعوبة في التكيف في البداية، حيث أصبح لا يجذب اللعب مع أقرانه من الجيران الجدد، غير أنها قامت بتسجيله في المدرسة القرآنية أين أصبح يتردد باستمرار عليها و أكتسب مهارات كبيرة مقارنة مع السابق، أما ابنها الكبير فقد تراجع تحصيله الدراسي فقد ألفت الدراسة عند إحد المعلمات التي رفض في البداية تغيير صفه و قامت بإقناعه بصعوبة.

و تمثل التنشئة الاجتماعية بالنسبة للإنسان في جميع مراحل حياته عملية التثبيت التي تستمر طوال الحياة كلها ، حيث يتعلم الفرد القيم والرموز الرئيسية للأنساق الاجتماعية التي يشارك فيها ، والتعبير عن هذه القيم في معايير تتمثل في الأدوار التي يؤديها هؤلاء الآخرون والاتجاهات السائدة حوله كما يشير إليها الكثير من علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا على حد سواء.

المطلب الرابع:ثنائية الإدماج و عدم الإدماج.

لا يزال تطرح مسائل الإدماج و إعادة الإدماج الكثير من الوضعيات بإعتبارها تندرج في سياق ثنائية فرد/ مجتمع و في حالة الحراك السكاني، فقد إعتد رشيد بن عقادي¹⁵ على تعريف هال الذي عرفه بأنه عملية ديناميكية لا تقتصر على تكيف الفرد مع ثقافة المجتمع المضيف فحسب، بل تشمل أيضاً تكيفاً من جانب ثقافة المجتمع المضيف لتسهيل هذا التكامل، ويميز بين عدة أبعاد للتكامل، ويمكن تصنيف عدة أشكال من الإدماج بداية من الثقافي التي تنطوي في إكتساب الوافد الجديد للأعراف و القيم ويتضمن ذلك تعلم المعايير والقيم والسلوكيات والعادات والثقافة المضيفة، فضلاً عن المشاركة في الحياة الاجتماعية والثقافية، حيث تنطوي العوامل الإقتصادية على ضمان الحصول على عمل مستقر، ودخل كاف للعيش، والمشاركة في الاقتصاد، الاجتماعية التي تشير إلى تطوير العلاقات الاجتماعية والاتصالات والشبكات داخل المجتمع المضيف، علاوة على ذلك يمكن أن نرى تنمية الشعور بالإنتماء والهوية داخل المجتمع الجديد.

نتائج الدراسة:

إن من بين النتائج التي خلص إليها هذا البحث الإمبريقي يمكننا أن نشير إلى أهمها على ضوء التساؤلات التي إنطلقنا منها.

الفضاء الحضري في الجزائر خاصة بمجتمع الدراسة (مدينة بسكرة) يعيش حراكا سكونيا متواصلا، بسبب عدة عوامل داخلية و خارجية.

وجود عوائق لدى الأسر تحول دون استقرارهم بحي واحد لمدة تتجاوز الجيلين بسبب عدة عوامل منها الحراك الوظيفي كالأجراء الذين يفضلون السكن وفق متطلبات حياتهم اليومية، حيث عادة ما يجب أن يتوافق مقر السكن مع مقر العمل، و تتخذ استراتيجيات أخرى يمكن أن تتوافق في حال عمل الزوجين و تختلف هذه الوضعيات وفقا لوجود الأولاد، تدرسهم، بعد المؤسسات التربوية عن مقر السكن، توفر السيارة، النقل... وغيرها و هي متطلبات حياتية تفرض منطقها في هذه الحالات.

هناك عدة عوامل تدفع بالشاغل الحضري إلى الحراك السكني خارجية تتمثل في الخروج من البيت العائلي للوالدين بسبب عدم اتساعه و عدم قدرته على استيعاب عائلات نووية أخرى و بسبب تفادي المشاكل بين العائلة، السياسة السكنية التي سطرتها الدولة للقضاء على السكنات غير اللائقة بمختلف أنواعها و تشييد أحياء جديدة أغلبها وفقا للنموذج الجماعي العمودي.

البحث عن جودة الحياة يدفع ببعض الأسر إلى تغيير سكناتهم لمرات، فهناك من يطمح في تفوق أبنائه و تفادي العيش في بعض الأحياء التي يخشى من إنحراف أولاده فيها. تساهم وسائل النقل بقدر معين في تثبيت الأسر و تنقلهم خاصة خلال السنوات الأولى من حراكهم السكني، إلى جانب باقي المتطلبات الحياتية و المرافق التي تسهل العيش و المقام في هذه الأحياء.

هناك مخيال ثقافي لدى الساكنة بمدينة بسكرة بخصوص متانة و قوة الروابط الاجتماعية التقليدية سابقا خاصة الجيران حيث يشيد بها أغلب المبحوثين.

خاتمة:

هناك عدة أسباب تقف وراء الحراك السكني في مدينة بسكرة، ويمكن أن توضع سيميائية الفضاء الحضري الذي يتميز بكونه مرآة عاكسة للعمق التاريخي الذي يميز المدينة، حيث أن الزائر للمدينة يتحسس تدرج في الطابع المعماري لكل فترة من التاريخ إنطلاقا من المعمار الإسلامي الذي لا تزال شواهده حاضرة في عدة معاملتدل عليه مثل المساجد والمآذن،

الأحياء القديمة مثل بسكرة القديمة باب الضرب، الشوارع و الأحياء التي تعود إلى الفترة الإستعمارية، وصولا إلى الأحياء العصرية و الأقطاب الحضرية الجديدة مثل الشناوة .. وغيرها، تحدد السياسة المنتهجة للسكن من قبل السلطات العمومية حجم الحراك السكني و سيرورته عن طريق تجسيد مختلف المخططات التنموية في مجال السكن و التهيئة العمرانية بالمدينة و النقل.

هناك محددات فردية ذات بعد إقتصادي، إجتماعي و عائلي هي التي يمكن أن تتحكم في الحراك السكني، كما تتحكم الخدمات العمومية في الحراك السكني حيث أنها تعد من بين الاستراتيجيات الجانبية التي يمكن أن تتخذ من قبل الأسر لتسهيل العيش في المدينة. تعد مدينة بسكرة بمثابة نموذج يمكن أن يعمم على أغلب المدن بالجزائر خاصة ذات الطابع التجاري و المعروفة بحركيتها الإجتماعية و الإقتصادية، لاسيما و أن ولاية بسكرة هي قطب إقتصادي واعد.

في الختام يمكن أن يكون موضوع الحراك السكني من المداخل الابستمولوجية التي هي بحاجة ماسة إلى ولوج الفضاءات الأكاديمية من قبل باحثينا بالجزائر، فالجزائر تعيش حراكا متعدد الأبعاد في زمن تحول.

الهوامش

¹ قصي، ع. (2020, 03 15). بنية السرة و تحولات السكن و التساكن في الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري دراسة أنثروبولوجية في مدينة ورقلة .ورقلة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا ، الجزائر

² Willibald, O., Mukiibi, S., & Limbumba, T. (2018). Understanding Residential Mobility . *American Journal of Engineering Research (AJER)*, 503-507.

Willibald, O., Mukiibi, S., & Limbumba, op-cit.³

Willibald, O., Mukiibi, S., & Limbumba, op-cit.⁴

Zhou, D.Mobility and interlinkage: the transformation and new approaches for ⁵ anthropological research. *International Journal of Anthropology and Ethnology*, (2022, 08 29). 01-14.

E.Ecejo, r, Ethnography and The City. Routledge, new york, USA, 2013. ⁶

paillé, p, la methodologie qualitative postures de recherche et travail de terrain,Armon ⁷ Colin, Paris, France:. 2013.

⁸ غضبان، ف. ب. أثر التحولات الإجتماعية و الإقتصادية على البنية التجارية للمدن الصحراوية دراسة في مدينة بسكرة الجزائر .مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية، ب ت . .

⁹ ع،ط، طريقة كراء مسكن، بسكرة، 13-06-2025.

¹⁰ غ، ب، التوفيق بين السكن و العمل، بسكرة، 22-03-2025.

¹¹ ع،ط، طريقة كراء مسكن، بسكرة، 13-06-2025.

¹² ف،ب، اليوميات في الحي الجديد، بسكرة، 23-06-2025.

¹³ جغار ع.، الحراك السكاني بأحياء السكن الجماعي دراسة نموذج حي الدقيسي بمدينة قسنطينة . Les cahiers du CREAD، 2012، ص ص. 111-138 .

¹⁴ ع، ب، التنشئة الإجتماعية لدى الأولاد، بسكرة، 13-06-2025.

¹⁵ bennegadi, r. , l'intgration:consederations psycho-anthropologiques. *Migrants formation*, 1989,pp 58-96.